**محاضرات في الفلسفة الإسلامية**

# محاضرة الغزالي وفلسفته

## المرحلة الثالثة

## قسم العقيدة والدعوة والفكر

**التدريسي : أ. د . ابراهيم رجب عبدالله**

## ١- **الغزالي (ت ٥٠٥هـ )**

ولد ابو حامد محمد بن احمد الغزالي (سنة ٤٥٠ هـ ) في ( الغزالة ) وهي بلدة في جوار (طوس) وقد ظهرت على الغزالي اثار النبوغ والذكاء منذ سني حداثته فلم يكد يبلغ أشده حتى تعلم القراءة والكتابة وطرفاً من علوم الدين ، تتلمذ على يد الجويني الملقب ( بإمام الحرمين ) ودرس الفقه وعلم الكلام والمنطق والفلسفة، رافق الوزير السلجوقي نظام الملك فولاه منصب التدريس في المدرسة النظامية في بغداد ، مر الغزالي بأزمة نفسية فاتجه الى العزلة والتصوف وترك التدريس والف في الفقه والاخلاق والمنطق والفلسفة والتصوف .

نقده للفلاسفة :-

يتفق الغزالي مع الفلاسفة في اهمية العلوم وصحتها ويحث على تعلمها مثل الرياضيات والمنطق والطبيعيات والاخلاق وفروع الفلسفة كافة باستثناء موضوع (الالهيات ) فانه ينتقدهم في هذا القسم من الفلسفة ويخطئهم في عشرين مسألة وقد كفرهم في ثلاث مسائل وبدعهم في سبع عشرة ، اما المسائل التي كفرهم فيها هي :

١-قولهم بقدم العالم .

٢-قولهم ان الله يعلم الكليات من دون الجزئيات .

٣-انكارهم البعث وحشر الاجساد .

مسألة قدم العالم عند الغزالي :-

حاصل ما استقر عليه رأي الفلاسفة قولهم : ان العالم قديم وانه لم يزل موجودا مع الله غير متأخر عنه وانه مساوق له مساوقة المعلول للعلة ، ومساوقة النور للشمس .

ولأبطال قول الفلاسفة بقدم العالم يذكر الغزالي ادلتهم ، ثم يرد عليهم ونذكر من هذا الادلة :-

أ- الدليل الاول : قولهم يستحيل صدور حادث عن قديم مطلقاً لأننا لو فرضنا القديم ولم يصدر منه العالم مثلا ، ثم صدر فان عدم صدوره منه اولاً يرجع الى انه لم يكن لوجوده مرجح ، فاذا حدث العالم وجب ان يتجدد مرجح ، فلم حدثه الان ؟ ومن احدثه ؟ ولماذا حدث ؟ ولماذا لم يحدث من قبل ؟ فلا يمكن ان نقول ان الله كان غير قادر على احداث العالم ثم اصبح بعد ذلك قادرا على احداثه ، ولا نقول انه لم يكن له غرض ثم تجدد له هذا الغرض .

**ويرد الغزالي على هذا الدليل** : ان العالم قد حدث بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه وان وجود العالم قبل حدوثه لم يكن مراداً .

فاذا قال الفلاسفة ان هذا الامر محال لأنه لا يوجد سبب للتراخي بين العلة والمعلول أي بين ارادة الله وبين حدوث العالم ، يجيب الغزالي ان الارادة القديمة مطلقة فإرادة الله ليست كإرادة الانسان ، فهي تختار الوقت الذي تراه في حرية تامة من غير ان يكون لذلك سبب غير الارادة نفسها .

ب- الدليل الثاني : قول الفلاسفة اذا كان العالم حادثاً او متأخراً عن وجود الله فهذا يعني ان هناك زماناً لم يكن فيه العالم ، فأذن قبل الزمان زمان لا نهاية له ، وهذا متناقض ولأجله يستحيل القول بحدوث الزمان واذا وجب قدم الزمان وهو عباره عن مقدار الحركة، وجب قدم الحركة وقدم المتحرك وبالتالي قدم العالم .

**ويرد الغزالي على هذا الدليل بقوله** :- الزمان حادث ومخلوق وليس قبله زمان اصلا ، ونحن لا نعني بقولنا ان الله متقدم على العالم والزمان الا شيئاً واحداً وهو قولنا ان الله كان ولا عالم ومعه ثم كان ومعه العالم ومعنى قولنا ( كان ومعه العالم ) وجود الذاتين معاً وهما ذات الله وذات العالم .

وليس من الضروري ان نفرض وجود شيء ثالث وهو الزمان فان افتراض وجود زمان متقدم على وجود العالم ليس سوى فعل من افعال الوهم او الخيال ، الذي يعجز عن تصور بداية ليس قبلها شيء ، اما ادراك العقل فليس يمتنع عليه ادراك ذلك .

**كتاب المنقذ من الضلال للغزالي :**

وصف الغزالي في هذا الكتاب الذي الفه في اواخر ايامه ما احاط به من الشك ، وما كابده من المشقة في استخلاص الحق من اضطراب الفرق وما ارتضاه لنفسه من طريقة التصوف .

وسنقتصر في كلامنا عن هذا الكتاب على ثلاث مسائل وهي : اولا : الشك ، ثانياً انتقاد الفرق ، ثالثا النبوة والاصلاح الديني .

١-الشك كان الغزالي متعطشاً الى ادراك الحقيقة فهو يشبه اضطراب الفرق ، واختلاف المذاهب في زمانه ببحر عميق غرقه فيه الكثير ، فكان الغزالي ميل طبيعي على اقتحام لجة هذا البحر والتوغل في ظلماته ، فتفحص عن عقيدة كل فرق واستكشف اسرار مذهب كل طائفه ليميز بين محق ومبطل فكان يهدف الى العلم بحقائق

الامور بحيث لا يبقى معه ريب ويقول في كتابه ( ميزان العمل ) "الشكوك هي الموصلة الى الحق ، فمن لم يشك لم ينظر ، ولمن لم ينظر لم يبصر ، ومن لمك يبصر بقيه في العمى والظلال " فكان الشك طريق للوصول الى معرفة الحقائق اليقينية ، فأول ما شك في المحسوسات اذ يقول انه لا امان فيها لأننا ننظر الى الكوكب فنراه صغيراً ثم الادلة الهندسية تدل على انه اكبر من الارض وكذلك العلم بالضروريات فانه لا يسلم من تطرق الشك اليه لأننا نستطيع ان نتصور وراء حاكم العقل حاكم اخر ، وبما نأمن ان يكون كل ما تعتقده عقولنا من جنس ما اطلعتنا عليه حواسنا ، فالعقل يكذب الاحساس والاحساس يكذب العقل .

وما يثير شك الغزالي الامور التي تطرأ على النفس في النوم ، فيقول فبم نأمن ان يكون جميع ما نعتقده في يقظتنا بحسنا وعقلنا حقاً ، الا يمكن ان تكون نوعا من الاوهام ايضاً ، ويقول الغزالي انه لم يجد لشكه علاجاً واعضل هذا الداء ودامه قريباً من شهرين حتى شفاه الله من ذلك المرض بنور قذفه في صدره .

وهذا النور هو كشف باطني او حدس داخلي وهو وسيله تعوض العقل من عجزه عن حل جميع المعضلات لان العقل ليس مصدر جميع الحقائق .

٢-انتقاد الفرق : انحصرت الفرق عند الغزالي في اربع :- فرقة المتكلمين ، وفرقة الباطنية ، وفرقة الفلاسفة ، وفرقة الصوفية .

أ- **اما فرقة المتكلمين** : فقد وجد الغزالي علم الكلام غير واف بمقصودة ، لان علماء الكلام يستندون في الرد على اهل البدع الى مقدمات يتسلمونها من خصومهم وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوآ الضروريات شيئاً اصلاً

ب- **اما فرقة الفلاسفة فتنقسم في نظر الغزالي الى ثلاث اقسام** : وهم

١-الدهريون ٢- الطبيعيون ٣- والالهيون

اما الدهريون فهم طائفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر ، وزعموا ان العالم لم يزل موجودا ، وهؤلاء هم الزنادقة .

اما الطبيعيون : فهم قوم اكثروا البحث في عالم الطبيعة ، فرأوا فيه من عجائب صنع الله وبدائع حكمته فاقروا بوجوده ، الا انهم ذهبوا الى ان النفس تموت بموت البدن فجحدوا الأخرة وانكروا الجنة والنار ، فهؤلاء ايضاً زنادقة ،

واما الالهيون : فانهم ردوا على الدهرين والطبعيين الا انهم استبقوا من رذائل كفرهم اشياء لم يوفقوا للنزوع عنها ، فأراءهم قسم يجب التكفير به ، وقسم يجب التبديع به ، وقسم لا يجب اناكره اصلاً فالرياضيات والمنطق والعلم الطبيعي علوم لا يمكن انكارها .

**جـ – اصحاب التعليم** : انقد الغزالي اراءهم وناقش حججهم ورفض قولهم بوجوب وجود امام معصوم.

**د– اما الصوفية** : فهم في نظر الغزالي خواص الحضرة ، واهل المشاهدة والمكاشفة وطريقتهم مؤلفة من علم وعمل فطريقة الصوفية مقتبسه من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به .

٣– النبوة والاصلاح الديني :–

يقول الغزالي ان وراء طور العقل قوة تدرك الغيب وامور اخرى لا يدركها العقل وهي (النبوة ) ويبرهن الغزالي على مدركات النبوة من خلال وجود معارف لا يتصور ان تنال بالعقل كحقائق الطب والنجوم فهي لا تدرك الا بالهام الهي ، والبرهان على وجود النبوة ايضاً ان في الانسان نموذجاً من مدركاتها وهو مدركاته في النوم ، لان النائم قد يدرك ما سيكون من الغيب ويرى ويسمع ، وبصره وسمعه في حالة غفله ، فالرؤيا تدل اذن على ان في

الانسان نموذجا من خواص النبوة ، ومع ذلاك من خواص النبوة فهو يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف .

والانبياء اطباء امراض القلوب ، والعبادات ادوية مختلفة النوع والمقدار الا ان بعض الاذين اعمى الهوى قلوبهم لم يدركوا حقيقة النبوة

وختاما نقول ان الناس في الحكم على الغزالي انقسموا الى فئتين :-

فئة المعجبين به ، وفئة المخاصمين له .

**الاولى** : تقول انه حجة الاسلام ومجيء علوم الدين في عصره .

**والثانية** :- تقول انه كثير التخبط يربط في مكان ويحل في اخر ، ويستشهد بكثير من الاحاديث الضعيفة الاسناد ، وربما كان هذا الانقسام في الاختلاف هو كثرة كتبه وكثرة الآراء المختلفة في ما بينها حول الموضوع الواحد في كتبه المختلفة ، اذ كان يخاطب الناس على قدر عقولهم فيقول في كتاب الميزان ان الآراء ثلاثة اقسام :-

١-رأي يشارك فيه الجمهور فيما هم عليه .
٢-رأي بحسب ما يخاطب كل سائل ومسترشد .
٣-رأي يكون بين الانسان وبين نفسه لا يطلع عليه الا من هو شريكه في اعتقاده .